

— ٩٨ —

تمر أمام ناظريه كشريط سينمائي ، فأفعم بالمشاعر والإحساسات ، وهاله أن حياته وذكرياته ستندثر ، وتمضى كأمس الدابر لا يحفل بها إنسان ، فخطر له أن يسجلها قبل أن تمنحى الفقاعة الصغيرة في المحيط ، واحتل ذلك الخاطر تفكيره . وأيده أنه يستطيع أن يسطر لزوجته ما يحسه من مشاعر وخلجات ، وأن يثبها ما عجز عن أن يكشفها به من لحظات ، دون أن يضطرب أو يخشى أن تعقل لسانه قسوة المناجاة ، إنه يستطيع أن يعتذر لأبنائه الصغار عن ذلك الفراق الذى قوض مستقبلهم ، حتى إذا كبروا عرفوا أنه ما كان له يد فيما وصلوا إليه من مآل .

وألفى نفسه عبداً لذلك الخاطر الذى جعل يلح عليه ، ملأت أقطار نفسه رغبة تسجيل حياته ، فنهض وذهب إلى مكتبه ، وأدار الزر الكهربى ، وجلس وراح يسطر على القرطاس حياته ، فى عناية وتوفيق ، وخيل إليه أن عينيه تهتكان حجب الماضى ، وتبصران كل شىء فى جلاء ووضوح ، فها هو ذا البيت الذى نشأ فيه من عشرات السنين ماثل أمام عينيه زاهر بالحياة ، وها هى ذى أمه وها هو ذا أبوه ، وها هم أولاء رفقاء الصبا ، وهنا الزقاق الذى مرح فيه ، واسترسل فى الكتابة ، فارتفع نبضه ، وتدفت إحساساته فواردة دافقة ، وراح قلبه يدق فى قوة ، واحتشدت فى صدره المشاعر الزاخرة ، وتقضت الساعات وهو يكتب فى حماسة ، كأنما يخشى أن يتخطفه الموت قبل أن ينتهى مما هو فيه .

وفى هجعة الليل ، دقت ساعة الحائط النصف بعد الثانية ، وهو غارق فى عمله ، وأحس كأن مطارق تدق رأسه ، فأسنده إلى ذراعيه ، فراح فى سبات ، وما تسلل أول خيط من خيوط الفجر إلى غرفته حتى هب من نومه ، واستأنف ما كان فيه .